حركات الإعراب في اللغة العربية

د. هادي عبد علي هويدي

لها أهمية كبيرة في الدرس النحوي عند العرب لأنها ادلة على المعاني إذ تبين وظيفة الكلمة في السياق من حيث هي مبتدأ أو خبر، فاعل أو مفعول أو مضاف إليه ولكل من هذه المواقع التي ذكرناها أو لم نذكرها خطرة في الجملة العربية.

لقد عرف العرب هذه الحركات في كلامهم شعراً ونثراً، وكان يثير انتباههم القول إذا لم يكن موافقا لما عرفوه وتعودته السنتهم، وعرفنا انهم نقدوا شعرهم عند خروجه عن هذا الاتفاق.

ونزل القرآن الكريم معربا فحداهم إعرابه إلى دراسة هذه الظاهرة وتقريرها في قواعد وقد نشأت مصاحبة لدراسة علوم القرآن ومعانيه لأنها علامات فهم المعاني القرآنية.

اختصر هذا البحث على دراسة الحركات الثلاث (الضمة والفتحة والكسرة) ولم تدخل السكون في هذه الدراسة. ولم نتطرق إلى الحروف لأنها لا تمس موضوعنا.

لقد رأى النحويون العرب ان الحركات تأتي على أواخر الكلمات بعد الحرف الأخير واستقر على هذا رأي الأغلب منهم فصار هو الحجة، إذ رأى بعضهم إنها تأتي معه أو قبله، كما رأى النحويون إنها ابعاض حروف، فالضمة بعض الواو، والفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء أي ان هذه الأحرف الثلاثة حركات طويلة، أو الحركات أحرف قصيرة.

وقد اثيرت في هذه الحركات بعض الآراء في إنها تجري ليوصل الكلام بها ولا معنى لها غير ذلك، فمن الاقدمين ممن رأى ذلك قطرب، محمد بن المستنير توفي ٢٠٦هـ ومن المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس، ولم تكن حججهم مقنعة، فلم تصمد أمام ما تؤكده دلالة الحروف على المعاني، وانبرى للرد على هذه الحجة من القدامى أكابر النحويين كالخليل وسيبويه واضرابهما، وكذلك ما اثر حديثا راح أدراج الرياح امام اساتذتنا الأفاضل الذين رأوا ان الضمة علم إسناد والكسرة علم إضافة أما الفتحة فهي الحركة الخفيفة التي يفر إليها المتكلم تخلصا من استثقال الكلام فلزمت الفضلات في التعبير.

الحركات على أواخر الكلمات، التي اصطلح عليها علماء النحو (بالحركات الاعرابية) من الموضوعات الطريفة في الدراسات اللغوية التي تتصل بلغتنا العربية الجميلة. وان البحث فيها يتيح للباحث فرصة الاطلاع على واحدة من أهم الخصائص التي تميزت بها هذه اللغة، التي حفظها الله تعالى في كتابه الكريم "القرآن" حيث نزل بها معرباً، وكان القرآن الدافع الرئيس للعلماء للدرس اللغوي بمختلف أنواعه لغرض فهم القرآن الكريم والوقوف على مزايا إعجازه، ومما يتعلق بمعرفة هذه اللغة الوقوف على الحركات ومعرفة معانيها ودلالتها، وما تتركها من اثر يتصل بوظيفة الكلمة في السياق.

هذا البحث الذي بين أيدينا يدرس هذه العلامات، واهميتها، وضرورتها في بيان المعنى في تركيب كلام العربية بوصفها لغةً معربةً. ويجعلنا أيضا نقف على آراء العلماء الأقدمين، والمحدثين، ووجهات نظرهم المختلفة في هذه العلامات.

والبحث مكرس للحركات الأعرابية على ما اشرت إليه (الضمة والفتحة والكسرة) ولا يتطرق إلى ما ينوب عنها من الحروف (الواو والالف والياء) في بعض صيغ الألفاظ العربية المعروفة عند دارسي العربية، وانه أيضا لا يتطرق إلى نوع آخر يتصل بها وهو ما يصطلح عليه علماء اللغة واهل القراءات بشكل خاص (بالروم والاشمام والإمالة) لكي لا يتسع البحث، ويبقى مقصورا على الحركات التي هي موضوع البحث وعنوانه؛ لذا وجدتني حريصا على التقيد بتلك الحركات التي تدخل على الأسماء المتمكنة، وعلى الفعل المضارع لاسم الفاعل، ولم أتناول علامات البناء أيضا لثباتها على الكلمة، ولأنها لا تتصل بالمعنى.

وعلى ضوء دراستي هذه فقد وجدت البحث يقضي ان يقسم على ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

معنى الإعراب وعلاماته

الإعراب مصدر "اعرب" ومعناه الابانة، يقال: اعرب الرجل عن حاجته، أبان عنها، ومنه حديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم: "والثيب تعرب عن نفسها"، واعربت الشيء، حسنته، والتغيير عربت المعدة، واعربها الله، غيرها وازالة الفساد، أعربت الشيء، ازلت عربه أي فساده (١).

وقيل (٢): ((له اوجه ثلاث في هذه التسمية، الوجه الأول: ان يكون سمي بذلك لانه يبين المعاني، ماخوذمن قولهم: اعرب الرجل على محبته إذا بينها، ومن قوله صلى الله عليه واله وسلم)) الثيب تعرب عن نفسها: أي تبين وتوضح، فلما كان الإعراب

(١) ينظر: همع الهوامع للسيوطي: ١/ ١٣-١٤.

(٢) أسرار العربية لابن الانباري ص٩-١٠.

يبين المعاني سمي اعرابا، والوجه الثاني. ان يكون سمي اعرابا لانه تغيير يلحق أواخر الكلم، من قولهم: عربت معدة الفصيل إذا تغيرت، فان قيل: العرب في قولهم: عربت معدة الفصيل، معناه الفساد، وهو فساده، وصار هذا كقولك: اعجمت الكتاب، إذا ازلت عجمته، واشكيت الرجل، إذا ازلت شاكيته وعلى حمل بعض المفسرين قوله تعالى (٣) ((ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى)) أي، ازيل خفاءها، وهذه الهمزة تسمى همزة السلب.

والوجه الثالث، ان يكون سمي اعرابا، لان المعرب للكلام كان يتحبب إلى السامع باعرابه من قولهم (امرأة عروب، إذا كانت متحببة إلى زوجها، قال الله تعالى (٤) ((فجعلناهن ابكارا* عربيا اترابا)).

ويرى النحوين ان علامات الإعراب تكون على أواخر الكلم من العربية وهي تجري على ثمانية مجار.

يقول سيبويه (٥):((وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة اضرب، فالفتح والنصب في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف)).

ويفسر هذه الظاهرة بقوله (٦):((وانما ذكرت لك ثمانية مجار لافرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل، وليس شيء منه إلا وهو يزول عنه، وبين ما يبنى الحرف عليه بناء لا يزول عنه لغير شيء احدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب)).

والتفرقة التي ارادها في قوله السابق بين ما يكون معربا تتغير حركة الحرف الأخير فيه من الألفاظ، وما يكون مبنيا منها يلازم حركة واحدة في كل الأحوال، والحالتان في سياق التركيب للكلام.

ويتضح ذلك في قول أبي بكر بن السراج (٧) ((فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب، وحروف الإعراب للاسماء المتمكنة، والأفعال المضارعة لاسماء الفاعلين التي في اوائلها الزوائد الاربع، الهمزة والياء، والتاء، والنون، وذلك قولك: افعل أنا، وتفعل أنت أو هي، ويفعل هو، نفعل نحن)).

---

(٣) طه/ ١٥.

(٤) الواقعة/ ٣٦-٣٧.

(٥) الكتاب - سيبويه ت هارون ١٣/١.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) الأصول لابن السراج ت. ذ. الفتلي ٤٦/١.

أي بإدخال ما تسمى بحروف المضارعة الأربعة على الفعل والتي يظن إنها ضمائر دخلت على الفعل ثم اضمرت أو اختزلت إلى حروف فحولت بعدئذ صيغة الفعل من الأمر إلى المستقبل (٨).

ويرى ابن السراج ما يراه سيبويه فيقول (٩) "الإعراب الذي يلحق الاسم المفرد والسالم المتمكن، واعني بالمتمكن ما لم يشبه الحرف مثل التثنية والجمع الذي على حد التثنية، ويكون بحركات ثلاث: ضم وفتح وكسر، فإذا كانت الضمة اعرابا تدخل في أواخر الأسماء والأفعال وتزول عنها سميت رفعا، وإذا كانت الفتحة كذلك سميت نصباً، وإذا كانت الكسرة سميت جراً".

وقد اشارت النقول السابقة إلى ان هذه العلامات التي وسمت بالاعراب تجلبها عوامل، هذه العوامل أما لفظية، واما معنوية.

فقد قيل (١٠): والجمهور على القول الأول وقد ذهب ابن خروف والشلوبين وابن مالك ونسبه للمحققين وابن الحاجب وسائر المتأخرين وجرى على هذا اثر ظاهر، أو مقدر تجلبه العامل في محل الإعراب. والمراد بالاثر الحركة والحذف والسكون والحرف، وبالمقدر كان في المقصور ونحوه.. وذهب الاعلم وجماعة من المغاربة إلى انه معنوي، ونسب لظاهر قول سيبويه، ورجحه أبو حيان".

وفي النص إشارة واضحة إلى ما ذكره سيبويه ولعل سيبويه أراد بالعامل الموقع الأعرابي أو وظيفة الكلمة في السياق ودلالة الحركة أو الحذف أو الحرف عليها بان يتعين المعنى الذي دلت عليه اللفظة في السياق وترتيبها من حيث كونه مسنداً أو مسنداً إليه، أو إضافة أو فضلة.

والاعراب هو الحركات التي أشار إليها سيبويه بأنها أربعة تقابل أربعة علامات للبناء.

ويرى النحويون دلالة الإعراب على المعنى لوجهين(١١): أحدهما: ان الاختلاف أولا ينقل إلى بعد التعدد، فلو جعل الاختلاف إعرابه لكانت الكلمة في أول احوالها مبنية لعدم الاختلاف.

والثاني: انه يقال: أنواع الإعراب رفع ونصب وجر وجزم، نوع الجنس مستلزم الجنس، والجواب عن الإضافة إنها من باب إضافة الاعم إلى الاخص للبيان كقولنا (كل الدراهم). وعن الوجه الثاني؛ انه لا يدل وجود الحركات في المبني على إنها حركات الإعراب، لان الحركة ان حدثت بعامل فهي للاعراب وإلا فهي للبناء. ولذلك خصصها البصريون بالقاب غير القاب الإعراب.

---

(٨) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي. ص١٠٩، وقد اعتمد المرحوم الدكتور المخزومي على حاشية الصبان والتطور النحوي لبرجستراشر.

(٩) كتاب الأصول لابن السراج ٤٦/١.

(١٠) همع الهوامع للسيوطي: ١٤/١.

(١١) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/ ١٠١-١٠٢.

وتاكيد العامل في القول السابق بوصفه سبباً في الإعراب "اعني تغيير الحركات، ويستدل بذلك على قول ابن مالك في التسهيل (١٢) " ما لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون، ولم يخرج النحويون جميعا عن حدود هذا التعريف لظهور العلامات على أواخر الكلم، فهي (١٣)" اختلاف أواخر الكلم باختلاف العامل لفظاً أو تقديراً" أو أثراً ظاهراً أو مقدراً يجلبه العامل في آخر المعرب.

وقد جعل هذا التفكير بالعامل واثره في الإعراب الدرس النحوي عند العرب وكل نشاط العلماء منصبا على اثر هذه العوامل المزعومة على أواخر الكلمات مبتعدين عن دور الجملة وأسلوب بنائها، وما يؤديه التركيب النحوي من المعاني التي يقصد إليها المتكلم على الرغم من اثر الحركات في الدلالة الوظيفية للفظ في هذا التركيب.

والى هذا أشار الدكتور المخزومي من المحدثين ان (١٤) (لا ضير في الاهتمام بالاعراب وعلامته على انه جانب من جوانب الدرس النحوي، لاعلى انه النحو كله كما يفهم من اصرار النحويين على حصر العناية به خاصة، وقد شكلت هذه الدراسة نشاطا كبيرا كا بتاثير التفسير العقلي لهذه الظواهر اللغوية، على ان الإعراب ما للكلمة أو الجملة من وظيفة لغوية، أو من قيمة نحوية لكونها مسندا إليه أو مضافا إليه أو فاعلا أو مفعولا أو حالا أو غير ذلك من الوظائف التي تؤديها الكلمات في ثنايا الجمل، وتؤديها الجمل في ثنايا الكلام).

---

(١٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٠١-١٠٢.

(١٣) اسرار العربية، ابن الانباري ص١٠.

(١٤) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه ص٦٦.

المبحث الثاني

موقع الحركات من الكلمة المعربة ودلالتها

أ- موقعها ودلالتها عن الأقدمين:

يفهم من قول سيبويه ان الحركة تلحق آخر الحرف في الكلمة المعربة في قوله (١٥) وزعم الخليل ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به.. فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكل واحد شيء مما ذكرت".

وكلام سيبويه يحمل معنيين؛ الأول منهما مكان الحركة من الحرف الأخير، وهذا ما آثار جدلاً بين علماء النحو، والثاني. علاقة هذه الحركات بحروف المد (اللين) الألف، والياء، والواو.

فاشارة سيبويه في كون الحركة بعد الحرف، لا مجال لتأويلها في ان تكون قبلة أو معه، وكونها تجري تسهيل مهمة النطق بالكلمة مع جوارها. فهي صوت موصل للفظ الكلمات، وقد ايد ابن جني ذلك في قوله (١٦) "ومما يشهد لسيبويه بان الحركة حادثة بعد الحرف وجودها إياها فاصلة بين المثلين، مانعة من الادغام بين الأول والآخر نحو الملل، والضفف، والمشش، كما يفصل الألف بعدها بينها نحو الملال، والضفاف، والمشاش. وهذا مفهوم، وكذلك شددت، ومددت. فلو كانت في الرتبة قبله لما حجزت عن الادغام، إلا ترى ان الحرف المحرك بها كأن يكون على ذلك بعدها حاجزاً بينها وبين ما بعده من الحرف الآخر. ونحو من ذلك، ميزان وميعاد، فقلب الواو ياءاً يدل على ان الكسرة لم تحدث قبل الميم، لأنها لو كانت حادثة قبلها لم تل الواو، فكان يجب ان يقال: موزان، وموعاد، وذلك انك إنما تقلب الواو ياءً للكسرة التي تجاورها عن مثلها.."

وقد درج على هذا التحليل نحويون آخرون يؤكدون الحركات بعد الحروف، يقول أبو إسحاق الزجاج (١٧)" كان أبو العباس المبرد يقول: لم يجعل الإعراب أولاً، لان الأول تلزمه الحركة ضرورة للابتداء، لانه لا يبتدأ إلا بمتحرك، ولا يوقف إلا على ساكن، فلما كانت الحركة تلزمه لم تدخل عليها حركة إعراب، لان حركتين لا تجتمعان في حرف واحد، فلما كان وقوعه أولاً لم يكن ان يجعل وسطاً، لان أوساط الأسماء مختلفة، لأنها تكون ثلاثية، ورباعية، وخماسية فأوساطها مختلفة، فلما كان ذلك جعل أمراً بعد كمال الاسم ببنائه وحركاته".

---

(١٥) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه ص٦٦.

(١٦) الخصائص لابن جني ٢/٣٢١-٣٢٤ ويمظر: سر صناعة الإعراب لابن جني ٣٢/١.

(١٧) ينظر: الإيضاح في علل النحو للزجاجي ت٣٣٧ هـ، ص٧٦.

وقال آخرون (١٨) "الإعراب إنما دخل الكلام دليلاً على المعاني فوجب ان يكون تابعاً للاسماء، لانه قد قام الدليل على إنها تأتي بعدها". أما ان تكون هذه الحركات منبئة عن المعاني فهو أمر مسلم به من قبل النحويين جميعاً لان الأسماء تكون فاعلة ومفعولة ومضافة إليها ولم تكن صورها وابنيتها ادلة على هذه المعاني، وهذا ما جعل حركات الإعراب تنبئ عن هذه المعاني، ليتوسع الناطقون باللغة في كلامهم ويقدموا الفاعل ان أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه وتكون الحركات دالة على المعاني.. وهذا قول جميع النحويين إلا قطرباً ت٢٠٦هـ (١٩) فانه عاب عليهم هذا الاعتلال وقال: "لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني بين بعضها وبعض لانا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة في المعاني، واسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني" (٢٠).

ولكي يدلل قطرب على رأيه يسوق أمثلة كثيرة في ما اتفق إعرابه واختلفت معانيه وما اختلف إعرابه واتفقت معانيه، ولم تكن العرب نطقت بذلك لغاية فهم المعاني بوساطة اختلاف الحركات إنما القصد منها وصل الكلام لان الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل وكانوا يبطئون عند الادراج. واما اختلاف الحركات على الأواخر يَعلله اتساعا في الكلام ولعدم التضييق على أهل اللغة.

وقد نلحظ وبشكل واضح اعتباطية هذا الرأي وعدم أقامته على دليل يقبله العقل، إذ لو ان تحريك أواخر الكلم لغرض الوصل في الكلام فقط دون غاية تتصل ببيان المعاني لاضطراب أهل اللغة في النطق واختلفوا ولم يتفقوا على حال واحدة في نطق المسند إليه بالرفع والفضلات بالفتح والإضافة بالكسر. وهذا ما جرى عليه أهل اللغة في نطقهم لغتهم كما هو مستقرء في لغة العرب وفي الكتاب الكريم، وعلى فرض ان هناك من خرج عن ذلك قليلاً، لكنه لا يشكل نسبةً تجاه هذا الاتفاق العظيم الذي له امتداد تاريخي طويل.

نعم، ان الحركات على أواخر الكلم تؤدي واحدة من وظائفها لتوصل المتكلم إلى جوارها في النطق، وهذا ما يراه النحويون جميعا ولم يْغفل وهو واضح في كلام سيبويه من زعم الخليل (٢١) كما أثير ذلك، ولكنها تؤدي واجبات أخرى هي المعاني المختلفة في السياق لهذه المفردة التي أخذت هذه الحركة من دون غيرها.

ب- دلالتها عند المحدثين :

حظيت هذه الحركات بأهمية بالغة في الدراسات الحديثة في متابعتها من حيث هي أصوات ومن حيث المعاني التي تؤديها في سياق التعبير عن القصد.

---

(١٨) ينظر: الإيضاح في علل النحو ص٧٦.

(١٩) هو محمد بن المستنير، نحوي على مذهب البصريين متوفى ٢٠٦هـ وهو تلميذ سيبويه. الإيضاح في علل النحو.

(٢٠) ينظر: الإيضاح في علل النحو ص٧٠.

(٢١) ينظر: الكتاب ١٣/١.

فقد ذكر الدكتور إبراهيم مصطفى بعض الاستنتاجات التي توصل إليها بعض العلماء المحدثين من المهتمين بالدراسات اللغوية (٢٢) ذلك إنها مما أشار إليها العالم (ريت) في محاضرات "مقارنة عن اللغات السامية" وبينه الأستاذ بروكلمان في كتابه "مقارنة عن اللغات السامية" وهو ان اصل لواحق الإعراب لا تعرف معرفة يقين، ولكن يمكن ان يرى ان الفتحة اصلها (Ha) وهي ضمير إشارة مستعمل في اللغات السامية، ولم تزل في الحبشة ملحقة بالأعلام في حالة النصب إذا وقع عليها فعل ذو اتجاه مثل (افعل) و(قصد) واصل معنى هذا الاستعمال، الاتجاه إلى شيء. وإذا صح هذا جاز ان ترى الضمة مشتقة من (Ho) أي (هو) أما علامة الجر، فظاهر مشابهتها بياء النسب وهي تفيد الكلمة معنى الوصفية.

وقد استدل الدكتور إبراهيم مصطفى (٢٣) على ان لواحق الخفض في اللغات الهندية الغربية مشتقة من لواحق دالة على الوصفية، ويساعد على هذا في العربية ان الوصفية تجئ بعد الموصوف فيقال: البيت الملكي، باتخاذ الموصوف بالصفة في المعنى، واللفظ بها مرة واحدة مستغن بها إعراب التالي، وخففت الياء فنشأ الخفض وهو إعراب جديد.

وبعد هذه الجولة التي يقوم بها الدكتور إبراهيم مصطفى في الدراسات المقارنة يخلص إلى النتائج التالية (٢٤):

ان الفتحة علم إسناد وهي دليل الكلمة المرفوعة يراد ان يسند إليها ويتحدث عنها.

واما الكسرة، فإنها علم إضافة. أو إشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة كما في كتاب محمد أو كتاب لمحمد.

واما الفتحة فليست علامة للاعراب، ولا دالة على شيء بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد ان تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك فهي بمثابة السكون في لغة العامة.

وبهذا نرى ان الدكتور إبراهيم مصطفى يضم صوته إلى صوت الأقدمين في ان هذه العلامات إنما هي دوال وظيفية، فضلا عن كونها لوصل الكلام ولم تكن قامت اعتباطا، وهي معبرة عن القصد الذي يكون وراءه المتكلم.

ومن المحدثين الدكتور مهدي المخزومي وهو يؤيد رأي الدكتور إبراهيم مصطفى ويذهب إلى ما ذهب إليه في ان الحركات أعلام إسناد وإضافة وان الفتحة لغير ذلك (٢٥) .

---

(٢٢) إحياء النحو / د. إبراهيم مصطفى ٤٣-٤٤.

(٢٣) ينظر: إحياء النحو ص٤٤.

(٢٤) المصدر نفسه: ص٤٤.

(٢٥) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه ص٦٧.

ويدل ان الدكتور أحمد عبد الستار الجواري (٢٦) ايد دلالة العلامات الأعرابية على المعاني التي يقصدها المتكلم، ويشير إلى ما يقوله قطرب في الحركات من إنها لوصل الكلام وليس لهما معان ثم يربط رأي أحد علمائنا المحدثين وهو الدكتور إبراهيم أنيس بما رآه قطرب من قبل، وتعليل أنيس من ان الحركات ناجمة عن الانسجام الصوتي في اللفظ ويرى ان هذه العلامات ليست من وضع النحويين كما يقول أنيس وان استشهاداته في ما ذكر من التلاؤم الصوتي لا تطرد في العربية وذلك في قوله (٢٧) "وقد يفهم من كلام الدكتور إبراهيم أنيس ان قواعد الإعراب من وضع النحاة، وان هذه القواعد لا تطرد في نصوص اللغة. وهو يستند في ذلك على الروايات من الشعر ومن القراءات سكن فيها المتحرك أو جزم فيها الفعل في غير موضع الجزم" ثم يذكر الأمثلة وهي أمثلة متداولة في كتب النحو والصرف ولكنها لقلتها وشذوذها لا تصلح ان تكون دليلا على ما يقول.

(٢٦) ينظر: نحو التيسير ص٣٤-٣٧، معاني النحو ص٣٤ - وما بعدها.

(٢٧) نحو التيسير ص٣٦.

المبحث الثالث

حركات الإعراب في الدراسات الصوتية

لم يغفل علماء اللغة الاقدمون هذا الجانب المهم من جوانب الدراسة اللغوية، فقد درسوا الأصوات اللغوية، وحددوا مخارجها في الحلق والفم، واهتدوا إلى طبيعتها من حيث الشدة والرخاوة، ومن حيث الجهر والهمس، وقسموها إلى الأصوات الصامتة (الساكنة) Consonants والاصوات (الصائحة) Vowels وأصوات اللين عندهم، هي الألف والياء والواو.

وقد رأى الاقدمون ان الحركات الثلاثة من الحروف الثلاثة، فكان سيبويه يقول في الحركات (٢٨):

"وزعم الخليل ان الضمة والكسرة والفتحة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، والضمة من مخرج الواو، والكسرة من الياء، والفتحة من الألف".

وقد أوضح السيراقي المراد بقول سيبويه في قوله (٢٩) "يعني ان الفتحة تزاد على الحرف، ومخجرها من مخرج الألف، وكذلك الكسرة من مخرج الياء، ولضمة من مخرج الواو. وقال بعضهم: الفتحة حرف من الألف، والكسرة حرف من الياء، والضمة حرف من الواو، واستدل على ذلك بشيئين: أحدهما، أنا نرى ان الضمة متى اشبعناها صارت واواً والاستدلال الثاني، ما قاله سيبويه حين ذكر الألف والواو والياء فقال: لان الكلام لا يحلو منهن أو بعضهن.

ويحدد سيبويه الحركات نفسها من حيث كونها اثقل أو أخف فيرى ان الضمة اثقل من الكسرة: وانهما (الضمة والكسرة) اثقل من الفتحة، وهكذا الحروف التي تخرج من مخارجها نفسها هذه الحركات وهي الواو والياء والالف. فيقول: (٣٠)

"فاما الألف فليست كذلك لأنها أخف عليهم، إلا تراهم يفرون إليها في مثنى ونحوه، ولا نجد قوتها في وقف، ويقولون في (فخذ، فخذ وفي رسل، رسل) ولا يخففون الجمل لان الفتحة أخف عليهم من الضمة والكسرة، كما ان الألف أخف عليهم من الياء والواو.

وارى في كلام سيبويه من خفة الفتحة ما يؤيد استدلال المحدثين من ان الفتحة هي الحركة الخفيفة التي يلجأ إليها المتكلم في غير ما إسناد ولا إضافة. كما ان الخفة والثقل التي يقول فيهما سيبويه تأتي من خفة الحرف.

(٢٨) الكتاب ٢٤١/٤ - ٢٤٢ سقت الإشارة إليه.

(٢٩) المصدر نفسه / الهامش من الصفحة نفسها.

(٣٠) ينظر: الكتاب ١٦٧/٤.

فالالف عندهم اتسع لهواء الصوت مخرجه اشد من اتساع مخرج الياء والواو، لانك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء. لسانك قبل الحنك... وعد الخليل هذه الأصوات هوائية وجوفية فخروجها من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدراج الحنق، والالف حرف هاوٍ كونه أعلى مراتب الانطلاق في أصوات اللين (٣١).

أما ابن جني فقد رأى في الحركات قوله (٣٢) "اعلم ان الحركات ابعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما ان هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمة والفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدموا النحويين يسمون الفتحة الألف القصيرة. والكسرة الياء الصغيرة. والضمة الواو الصغيرة. وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة إلا ترى الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توام كوامل، وقد تجدهن في بعض الأحوال أطول واتم منهن في بعض. وذلك قولك: يخاف، وينام، ويسير ويطير. ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتداداً واستطالةً فإذا اوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازدادت طولا وامتدادا. وذلك نحو يشاء ويسوء ويجيء... فليست تسمية الحركات حروفا صغارا بابعد في القياس".

وفي هذا النص إشارة واضحة لرأييؤيده المحدثون. فالفرق بين الفتحة والالف المد ليس إلا اختلافا في كمية الصوت، فالف المد ليست إلا فتحة طويلة وكذلك ياء المد ليست إلا كسرة طويلة، واما واو المد إلا ضمة طويلة (٣٣).

فقد وجد الدكتور إبراهيم أنيس ان أساس التقسيم الذي جرى عليه الاقدمون هو الطبيعة الصوتية، فالصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين Vowels هي إنها عند النطق يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة ثم ينحدر مجراه إلى الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه، كما يحدث مع الأصوات الشديدة، فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم، وخلو مجراه من حوائل وموانع، وهذا ما تجد عكسه من تضييق واختلاف في النفس مع الأصوات الشديدة (٣٤).

---

(٣١) ينظر: الأصوات اللغوية. د. إبراهيم أنيس ص٢٨.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٢٦.

(٣٣) ينظر: الأصوات اللغوية. د. ارباهيم أنيس ص٢٨.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٢٦.

خاتمة البحث

من خلال هذه الجولة السريعة في بحث الحركات الأعرابية وهي الفتحة والضمة والكسرة، اتضح ما يأتي:

ان هذه الحركات هي علامات أعرابية وليست كل علامات إعراب تدخل معها الوقف (السكون) ويقابل السكون قطع حرف من الأفعال. وعلى هذا الأساس فهذه العلامات هي علامات أعرابية خاصة في الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة لاسماء الفاعلين، ويشاركها في الأسماء حروف تستعمل هي الأخرى علامات أعرابية كالالف والياء والواو.

ان موضع هذه الحركات على الحرف الأخير من الكلمة ولا مجال لان تأتي في بداية الكلمة لان بداية الكلمة نستخدم الحركة أصلا للنطق بها. حيث ان العرب لا تنطق بالساكن. ولا مجال لان تأتي في وسط الكلمة لامرين، الأول منهما، ان الكلمة غير محددة الوسط فقد تكون ثلاثية ورباعية، وخماسية وسداسية، والثاني، انه قد تكون حركة الوسط هي حركة بناء اللفظ وتختلط بحركة الإعراب إذا وقعت في هذا الموضع؛ فلا بد من ان تكون علامة الإعراب على آخر الكلمة وهي تأتي بعد الحرف الأخير ليوصل الكلام بها من جهة ولتكون دالة معنوية على وظيفة الكلمة في سياق التعبير، ولا يمكن لهذه العلامة ان تكون قبل الحرف الأخير أو معه.

ان هذه الحركات هي ابعاض حروف، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو وإنها تخرج من مخارج حروف اللين نفسها ولكنها اصغر منها والخلاف بين حركات الإعراب وحروف المد اختلاف في الكمية فقط، وإذا كانت حروف اللين، الألف والياء والواو تخرج من الحلق دون حوائل أو موانع تعترضها فتضيق النفس فان هذه الحركات هي الأخرى تتصف بهذه الصفة فضلاً عن كونها صائتة ومجهورة كحروف اللين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إحياء النحو / الدكتور إبراهيم مصطفى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م.

أسرار العربية / كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري. طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل / ١٨٨٦م.

الأشباه والنظائر في النحو/ الفه أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، راجعه وقدم له الدكتور فايز برجيني، دار الكتاب العربي، ج١، ٢ طبع ١٩٨٤.

الأصوات اللغوية / تأليف الدكتور إبراهيم أنيس ط٥، ١٩٧٥، مطبعة الانجلو المصرية.

الإيضاح في علل النحو لابي القاسم الزجاجي ت٣٣٧هـ، تحقيق الدكتور مازن المبلوك ط١/ ١٩٧٤، ط٥/ ١٩٨٦ دار التضامن - بيروت.

الخصائص / صنعه أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار ج٢ - القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية / ١٩٥٥.

سر صناعة الإعراب / أبو الفتح عثمان بن جني ج١. تحقيق مصطفى السقا، محمد الزفراف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. وزارة المعارف العمومية - دار إحياء التراث ط١/١٩٥٤.

في البحث الصوتي عند العرب / تأليف د. خليل إبراهيم العطية - الموسوعة الصغيرة ١٢٤-١٩٨٢.

في النحو العربي نقد وتوجيه - الدكتور مهدي المخزومي، منشورات المكتبة المصرية، صيدا بيروت ط١، ١٩٦٤.

كتاب الأصول في النحو لابي بكر بن السراج ت ٣١٦هـ - تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان / النجف الاشرف، ١٩٧٣.

كتاب سيبويه / أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر تحقيق عبد السلام هارون الهيئة المصرية للكتاب. ج١، ج٤، ١٩٧٥.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، صنعه محمد فؤاد عبد الباقي في دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان - دار الكتب المصرية.

نحو التيسير، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٤.

نحو المعاني، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧.

همع الهوامع، شرح جمع الجوامع من علم العربية / تأليف الإمام جلال الدين السيوطي ج١، ٢، دار المعرفة - بيروت - لبنان.